تعدد مصادر الأفعال الثلاثية الجوفاء في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية

د. شوكت طه محمود ود. فؤاد علي جلال

التباين والتنوع بين الأمم؛ لغاتها، عاداتها وتقاليدها، معارفها، وما تدين به من أديان ومعتقدات، وما يكون من ذلك فطرة أو المصدر مأخوذ من الصدر، والصدر لغة هو "أعلى مُقَدَّم كُلِّ شيء، وصَدْر القَناة أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوله، وصُدْرةُ الإنسان: ما أَشرفَ من أعلى صدره" (١)، والصدر ليس مختصاً بشيء معين "حتى إنهم ليقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف... وصدر الأمر: أوله، وصدر كل شيء: أوله، وكل ما واجهك: صدر" (٢).

والمصدر اصطلاحاً هو "أصلُ الكلمة الذي تَصدُرُ عنه الأفعالُ، وتفسيره: إن المصادر كانت أوّلَ الكلام، كقولك: الذَّهاب والسَّمْع والحفظ، وإنما صَدَرت الأفعالُ عنها، فيقال: ذَهَبَ ذَهاباً، وسَمِعَ سمعاً وسَماعاً وحَفِظَ حفظاً" (٣)، ونحن لا نفرق بين المصدر واسم المصدر؛ لأن أكثر المتقدمين على أن المصدر هو الدال على الحدث بغض النظر عن اشتماله على جميع حروف الفعل أَوْ لا (٤)، ثم إن المتأخرين من النحاة الذين عنوا بالتفريق بينهما كان غرضهم هو العمل النحوي (٥) الذي لا يعنينا في بحثنا هذا.

استعمل القرآن الكريم أكثر من مصدر واحد لبعض الأفعال ولاسيما الأفعال الثلاثية الجوفاء، وتناول القدماء هذه الظاهرة وتكلموا عليها، فنسبوا هذا التعدد إلى لغات العرب حيناً، إذ قال سيبويه (ت١٨٠هـ): "وقد جاء بعض مصادر ما ذكرنا على فعال كما جاء على فعولٍ، وذلك نحو: كذبته كذاباً، وكتبته كتاباً، وحجبته حجاباً، وبعض العرب يقول: كتباً على القياس. ونظيره: سقته سياقاً" (٦).

ولم يعللوا هذا التعدد أحياناً؛ إذ لم يجدوا فيه تغايراً دلالياً أصلاً، وكأنّ الصيغَ المشتركةَ في أصل واحد سواء لا فرق بينها، ولم يعنوا بتلك التغييرات الصوتية الواقعة فيها عناية دلالية مكتفين بتعليلات تعليمية بعيدة عن واقع اللغة، إذ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) في علة انتقال الواو في (خوف) إلى الياء في (خيف): "والخيفةُ: الخوف، وقد جرَّت كسرةُ الخاء الواوَ" (٧)، وذكر ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في مادة (فوح): "وجدانك الريح الطيبة، فاحت ريح المسك تفوح وتفيح فوحاً وفيحاً وفؤوحاً وفوحاناً وفيحاناً: انتشرت رائحته، وعم بعضهم به الرائحتين معاً، وفاح الطيب يفوح فوحاً إذا تضوع" (٨)، وكذلك قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) في مادة (قول): "القَوْلُ والقِيلُ واحد، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢)" (٩).

وأحياناً يعللون تعدد مصادر الفعل الواحد بتنوع دلالات المصادر، إذ قال سيبويه: "وجاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعالٍ، وذلك: الصرام والجزاز، والجداد، والقطاع، والحصاد، وربما دخلت اللغة في بعض هذا فكان فيه فعالٌ وفعالٌ، فإذا أرادوا الفعل على فعلت قالوا: حصدته حصداً، وقطعته قطعاً، إنما تريد العمل لا انتهاء الغاية" (١٠)، فالحصد إذاً هو فعل الحصد، والحصاد زمانه، وكما في الضَّر والضُّر مصدري الفعل (ضرّ)، فهو بفتح الضاد الضرر في كل شئ، وبالضم الضرر الخاص في النفس من مرض وهزال، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ (الرعد: ١٦)، فالضَّر عام مقابل النفع، فرق بين البنائين لافتراق المعنيين (١١).

إلا أن تلك العناية بالدلالة كانت محدودة، ولم يعتمد اللغويون في فهم ذلك التغاير الدلالي على أصوات الكلمة وبنيتها بل اعتمدوا على سياق النص وعلى الذائقة اللغوية فأوقعهم ذلك في التناقض أحياناً، فقد رأى ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) -على سبيل

المثال- في باب (فَعَلْتُ-بفتح العين- في الواو والياء بمعنى واحد) اتفاق معنيي: (قلوت) و(قليت)، إذ قال:"وقَلَوْت الحَبَّ وقَلَيْتُه"(١٢)ثم عاد وفرق بين دلالتيهما في باب (الأفعال) إذ جعل ذات الواو لقلي الشيء على المقلاة، وذات الياء للبغض، إذ قال:"و(قَلَوْتُ اللَّحم والبُّسر)، و(قَلِيتُ الرجلَ): أبغضته"(١٣).

وانطلاقاً من قصدية لغة التنزيل التي عبر عنها الخطيب الإسكافي (ت٤٣١هـ) بقوله:"إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى فلابد من حكمة هناك تطلب، فإذا أدركتموها قد ظفرتم، وإن لم تدركوها؛ فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم"(١٤)،فانطلاقاً من تلك القصدية رأينا أن نتناول هذه الظاهرة في القرآن الكريم تناولاً صوتياً دلالياً، نعتمد على أصوات الكلمة بالاستفادة من صفاتها ومخارجها ثم الالتفات إلى السياق؛ إذ يُعد الصوتُ المكوِّن الأول والأساس من مكونات السياق المتكون من الكلمات والقرائن التي لا تستغني غالباً عن الأصوات، أي أننا سنحاول الانطلاق من أصغر مكون من مكونات اللغة وهو الصوت منطوقاً لا رمزاً مكتوباً.

ولأن التغييرات الصوتية التي تجري على مصادر الأفعال الثلاثية الجوفاء معظمها في المصوتات الطويلة (الضمة الطويلة، والفتحة الطويلة، والكسرة الطويلة) وجب علينا الحديث عنها وعن دلالاتها قبل الشروع في الموضوع ثم الانتقال إلى التغاير الدلالي بين المصادر المختلفة للأصل واحد.

إن تحديد مخارج المصوتات وملامحها الصوتية لا يخلو من مصاعب، شكا منها العلماء قديماً وحديثاً، فقد قال ابن سينا: "أمر هذه الثلاثة عليَّ مشكل"(١٥)، وقال المستشرق الألماني برجشتراسر: "فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل"(١٦).

وسبب هذه المصاعب هو اتساع مخارجها، فلا يحدث اتصال أو تقارب واضح لأعضاء آلة النطق في أثناء نطقها، وإنما يحدث تغيير في شكل اللسان يصعب تعيين موضعه، وتحديد مقداره بالملاحظة الذاتية(١٧).

وتكلم الخليل على مخارجها مسمياً إياها بالأحرف الجوف(١٨)، وتبعه في ذلك تلميذه سيبويه(١٩)، وتناولها ابن جني بكلام أكثر تفصيلاً ودقةً، إذ قال: "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينُها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالفٌ للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي في الياء مخالفٌ للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال، مختلفَ الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعُلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعِّداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال(٢٠)، وأما الواو فتضُمُّ لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في الألف أ اْ، وفي الياء إيْ، وفي الواو أُوْ"(٢١)، ونلحظ من وصف ابن جني لهذه الأصوات أن الفتحة الطويلة أسهلها وتليها الكسرة الطويلة ثم الضمة الطويلة، ولموقع اللسان ووضع الشفتين دور في تحديد دلالة هذه الأصوات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الألف دائماً مصوتٌ طويل، ولكن ليس كل (واو) أو (ياء) في العربية تعد مصوتاً طويلاً وإنْ رُسمتا على شكل المصوت الطويل، فإنهما إن سُبقتا بالفتحة القصيرة، أو تحركتا، خرجتا من المصوت الطويل إلى صوت شبيه بالصامت؛ لأن الأصل في المصوت الطويل هو الفتحة الطويلة، قال سيبويه عن الياء: "إذا تحركت لم تكن حرف لين(٢٢)، فبَعُد شَبهُها من الألف؛ لأن الألف لا تحرّك أبداً"(٢٣)، واشترط لتكونا مصوتين طويلين أن تسكنا وتحرك ما قبلهما بحركة من جنسهما، إذ قال: "فالياء التي كالألف ياءُ قنديل، والواو واوُ زنبور، كياء يبيع، وواوِ يقول، لأنهما ساكنان وحركة ما قبلهما منهما"(٢٤)، فإذا سكنتا وكان قبلهما فتحة سميتا في اصطلاح علماء التجويد (حرفي اللين)، قال مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ): "حرفا اللين، وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة"(٢٥).

وهذه الأصوات مجهورة، ولها قوة إسماع عالية وبالإمكان مطها على حسب ما يتطلب الموقف؛ ولذلك استعملت في النداء والاستغاثة والندبة والترنم(٢٦).

ومن المعلوم أن المصوتات الطويلة ناجمة عن إطالة المصوتات القصيرة، وقد أدرك ذلك علماؤنا، إذ قال ابن جني في معرض وصفه لهذه الأصوات أنهن: "توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة" (٢٧)، ويتوضح من هذا أن المصوتات الطويلة ليست ساكنة بل متحركة؛ لأنها في الأصل تتكون من (حركتين)، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "ومما يدلك على أن حرف المد بمنزلة متحرك أنهم إذا حذفوا في بعض القوافي لم يجز أن يكون ما قبل المحذوف إذا حذف الآخر إلا حرف مد ولين، كأنه يعوض ذلك، لأنه حرفٌ ممطولٌ" (٢٨).

دلالة المصوتات

إن المصوتات لها دور كبير في اللغة، فهي التي تقوم بتوجيه دلالات الصوامت، وتُعين على نطق الأصوات الصوامت وتسهل الانتقال من أحدهما إلى الآخر، قال سيبويه: "فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن... ثم ليس شيءٌ من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هن لكل مدٍّ، ومنهن كل حركةٍ... وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد أفشى من أن يحصى ويدرك" (٢٩)، فالحدث يدل عليه الصوت الصامت، إذ كل حدث يناسبه صامت بمخرجه وصفاته –وهذا أمره يطول– والحدث الذي يدل عليه الصوامت إما أن يكون ممتداً مفتوحاً على جميع الاتجاهات فحينئذ يناسبه مصوت الفتحة الطويلة الدالة على الامتداد في جميع الاتجاهات أفقياً وعمودياً؛ لأنها أخف الأصوات بله المصوتات، وأقلها جهداً عضلياً، إذ يخرج هذا الصوت واللسان مستوٍ في قاع الفم المنفتح بشكل متسع، والشفتان مفتوحتان مسطحتان، وإما أن يكون الحدث ممتداً أفقيا في اتجاه واحد وحينئذ يناسبه مصوت الكسرة الطويلة الدالة على الامتداد في ذلك الاتجاه؛ لأنها تخرج واللسان وسطه مرتفع باتجاه وسط الحنك الأعلى؛ فيحدث فيه تضييق نسبي مقارنة بمخرج الفتحة الطويلة، والشفتان منفرجتان من دون تسطح، وإما أن يكون الحدث محدوداً في مكان معين فحينئذ يناسبه مصوت الضمة الطويلة؛ لأنها تخرج مع ارتفاع أقصى اللسان باتجاه الحنك الأعلى مع ضم الشفتين إلى بعضهما في وضع مستدير وكأنهما بذلك يرسمان حلقة تقوم بتحديد الحدث في مكان معين وتحجيمه(٣٠)، فدلالة هذه المصوتات إذا مستوحاة من حال مجرى الهواء سعة أو ضيقاً ومن حال الشفتين فتحاً أو انفراجاً أو ضماً واستدارة، أما إذا توقف الحدث ولم يجر أصلاً فحينئذ يناسبه السكون الدال على التوقف؛ ولذا رسم على شكل الصفر في الحساب.

وهذه الدلالات هي بعينها دلالات المصوتات القصيرة أيضا ولكن على نطاق أضيق، وهذا ما يفسر لنا مد المصوتات الطويلة أكثر من الزمن المعتاد في بعض سياقات النص ولاسيما النص القرآني، فالمد دال على سعة دلالة الصامت الذي أُلحق بمصوت طويل، وهذا الكلام يتفق مع كلام سيبويه إذ قال: "فإذا اجتمعت ألفان مُد الحرف" (٣١)، ولا يتفق مع بقاء الفتحة الطويلة فتحة طويلة واحدة إن مدت أكثر من زمن مدها كما ذهب إلى ذلك ابن جني مع ذكر قصة عن أبي إسحاق الزجاج (ت٣١٥هـ)، إذ قال: "قال أبو إسحاق يوماً لخصم نازعه في جواز اجتماع الألفين المدتين –ومد الرجل الألف في نحو هذا، وأطال– فقال له أبو إسحاق: لو مددتها إلى العصر ما كانت إلا ألفًا واحدة" (٣٢).

وهذا الذي ذكرناه من دلالات المصوتات الطويلة المستفادة من مخارجها وصفاتها قد أدركها السُّهيلي (ت٥٨١هـ) حين علل استعمال الضمة الطويلة في جمع المذكر السالم إذ قال: "جعلت لهم علامة تختص بهم تنبئ عن الجمع المعنوي كما هي في ذاتها جمع لفظي، وهي (الواو)؛ لأنها ضامّة بين الشفتين أو جامعة لهما، وكل محسوس يُعبر به عن معقول فينبغي أن يكون مشاكلاً له، فما خلق الله تعالى الأجساد في صفاتها المحسوسة إلا مطابقة للأرواح في صفاتها المعقولة، ولا وضع الألفاظ في آدم (عليه السلام) وذريته إلا موازنة للمعاني التي هي أرواحها، فهذا سر (الواو) في اختصاصها بالجمع لمن يعقل، وعلى نحو ذلك خصت بالعطف لأنه جمع في معناه، وبالقسم لأن واوه في معنى واو العطف" (٣٣)، وهكذا ربط السُّهيلي بين المحسوس والمعقول، وبين الأجساد والأرواح، إذ أوجب الانسجام والوئام بينهما، فإن الخالق حكيم خبير.

وتبع السهيليَ في هذا القول ابنُ قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، إذ قال: "ولما كانت الواو ضمير العاقلين خاصة في (فعلوا) خصوها بجمع العقلاء في نحو: (هم مسلمون وقائمون) ولما كان في الواو من الضم والجمع ما ليس في غيرها خصوها بالدلالة على الجمع دون الألف" (٣٤).

وكذلك ذهب سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) في حديثه عن أبواب الفعل الثلاثي المجرد، إذ قال: "وإن كان ماضيه على وزن فَعُل مضموم العين فمضارعه يفعُل بضم العين نحو: حَسُن: يَحْسُن وأخواته؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة فاختير للماضي والمضارع حركة لا تحصل إلا بانضمام الشفتين؛ رعاية للتناسب بين الألفاظ ومعانيها، ويكون لأفعال الطبائع كالحسن، والكرم، والقبح، ونحوها، ولا يكون إلا لازماً" (٣٥).

وأشار إليها الدكتور فاضل صالح السامرائي، إذ قال: "وإذا اتفق أن يكون للصوت وزنان: (فعيل) و(فعال) فالذي يبدو أن (فعالا) أبلغ من (فعيل) وأقوى؛ وذلك لأن مَدة الألف أطول من مدة الياء، وأن فتح الفم بالألف أوسع من فتحه بالياء، ونظير ذلك في الصفات فعيل وفُعال كطويل وطوال فمن المعلوم أن فعالاً أبلغ من فعيل في الوصف فطوال أبلغ من طويل وعُراض أبلغ من عريض وشجاع أبلغ من شجيع وكُرام أبلغ من كريم وكذلك القياس في المصدر؛ لأن الوزنين متفقان" (٣٦)، وقصد الدكتور السامرائي بـ(أبلغ) هو أوسع أو أكبر أو أشمل، وإلا فكل وزن من الأوزان التي ذكرها بليغ، وأبلغ في سياقه الوارد فيه المنسجم معه، ويبدو أن الدكتور مصطفى النحاس مقتنع بهذه الصلة بين مخرج الحرف ودلالته؛ فإنه أقر كلام التفتازاني من دون الإشارة إليه(٣٧).

وهناك أمثلة كثيرة في اللغة العربية على هذا التغاير الدلالي الحاصل تبعاً للتغيّر الصوتي في المصوت فقط منها: كلمة (الريح) لهذه الحالة الممتدة التي لم تُحدَّد له مكان معين، ولكنها حين حددت في المكان (الجسد) صار (الروح)، وكما في (السير) الممتد، وحين حدد صار (السور) الذي يحيط بالمدينة مثلاً، وفي (البين) التي استعملت للبعد والفراق الممتد إذ انتقلت إلى (البون) حين أريدت للمسافة المحددة بين شيئين، وكلمات أخرى كثيرة في العربية كالغيث والغوث، والطير والطور، والبليغ والبلوغ(٣٨)، ويذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) فعلين مضارعين للفعل (طاف) متناسقين مع دلالتهما على وفق ما ذكرنا، إذ قال: "طافَ حول الشيء يَطُوف طَوْفاً وطَوَافاً، وطاف الخيال يَطيفُ طَيْفاً" (٣٩)، فإنه حين حدد الفعل بـ(حول) جعل مضارعه (يطوف)، وحين أسند الفعل إلى الخيال الواسع المنتشر الذي لا يتحدد في مكان جعل مضارعه (يطيف)، وكذلك فعل مع مصدريهما، ولا نظن أن هذه الهندسة العجيبة للعربية قائمة على الاعتباط.

وبعد هذه المقدمة صار بإمكاننا الولوج في موضوعنا وتحليل المصادر المتعددة للأصل الواحد والمقارنة بينها مع ربطها بسياقها الوارد فيه، ووجدنا ثلاثة أفعال استعمل القرآن لكل واحد منها مصدرين،وهي: (خاف، وصام، وقال)،نتناولها مرتباً على حسب الحروف الهجائية.

مصدر الفعل (خاف)

وردت كلمة (خوف) ومشتقاتها في مئة وثمانية موضع في القرآن الكريم(٤٠)، ومعناها في المعاجم اللغوية هو الذعر والفزع، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "(خوف) الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدل على الذُّعْرِ والفزَع، يقال خِفْت الشّيءَ خوفاً وخيفةً، والياء مبدَلةٌ من واو لمكان الكسرة" (٤١).

ومعنى (الخوف) في الاستعمال القرآني هو توقع المكروه، كما قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): "الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية" (٤٢)، وتبعه في ذلك الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨٢): "فمن توقع وعلم، وهذا في كلامهم شائع، يقولون:أخاف أن ترسل السماء، يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم"(٤٣)، ووافقهما البيضاوي (ت٧٩١هـ)، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨) "فالخوف على المتوقع، والحزن على الواقع، نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه" (٤٤)، وكذلك ذهب أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، إذ قال عن الخوف: "هو غم يلحق لتوقع المكروه" (٤٥).

استعمل القرآن مصدرين للفعل (خاف) هما: (خوف) و(خيف)، ورد المصدر الأول في ستة وعشرين موضعاً، وورد الثاني في ستة مواضع(٤٦)، وفي استعمالهما إشارة إلى وجود فرق دلالي بينهما وإلا لاكتفى القرآن باستعمال أحدهما، والمعاجم اللغوية تساوي بين المصدرين في الدلالة ولا تميز بينهما، فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) فسر أحدهما بالآخر وعلل انتقال الواو

في (خوف) إلى الياء في (خيف) تعليلاً صوتياً تعليمياً بعيداً عن الدلالة، إذ قال: "والخيفةُ: الخوف، وقد جرَّت كسرةُ الخاء الواوَ"(٤٧)، وكأن كسرة الخاء هي التي قلبت الواوَ ياءً ولكنه لم يتطرق إلى جالب الكسرة نفسها، وكرر أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) كلام الفراهيدي نفسه في قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (الأعراف: ٢٠٥)إذ قال: "أي خوفاً وذهبت الواو بكسرة الخاء"(٤٨)،وكذلك قال ابن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ): "وخِيفَةً أصلها خوفة بدلت الواو ياء لأجل الكسرة التي تقدمتها"(٤٩)، ونقل ابن منظور (ت٧١١هـ) أيضاً عن الليث(٥٠) تعليلاً صوتياً آخر في تصيير الواو ألفاً في الفعل المضارع (يخاف) إذ قال: "الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة، قال الليث: خاف يخاف خوفاً، وإنما صارت الواو ألفاً في (يخاف) لأنه على بناء عمل يعمل، فاستثقلوا الواو فألقوها"(٥١)، وهكذا كانت التعليلات صوتية بحتة لا تعنى بالفروق الدلالية بين المصدر والآخر، ونظن أن هذه التعليلات مبنية على اعتباطية دلالة الأصوات ولاسيما المصوتات قصيرها وطويلها.

وإذا قطّعنا المصدرين تقطيعاً صوتياً وجدنا أن (خوف) يتكون من مقطع واحد طويل على الصورة الآتية: (خ ـَ و ف) صوت الخاء متبوعاً بمصوت الفتحة القصيرة ثم واو غير مدية (شبه صامت) ثم الفاء، وأن (خيف) يتكون من مقطع طويل واحد أيضاً على النحو الآتي: (خ ـ ـ ف)، ولكنه يأتي بعد صوت الخاء مصوت الكسرة الطويلة، وهذا المد في مصوت الكسرة الطويلة يدل -كما سبق- على سعة الحدث وامتداده، أما في (خوف) فإن مصوت الفتحة القصيرة بعد الخاء متبوع بصوت الواو شبه الصامت الدال على محدودية الحدث وقلته - كما سبق -.

وإذا عدنا إلى السياق وجدنا أن المصدر (خوف) قد جاء في أربعة عشر موضعاً في سياق النفي معطوفاً عليه نفي الحزن أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس:٦٢)، وهذا النفي شبيه بنفي الجنس، فقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): "وقد اقتضى نظم الكلام نفي جنس الخوف لأن (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنها إذا بني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصاً وإذا لم يبن الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهراً مع احتمال أن يراد نفي واحد من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحاً لهذا الاحتمال، وذلك في الأجناس التي لها أفراد من الذوات مثل رجل، فأما أجناس المعاني فلا يتطرق إليها ذلك الاحتمال فيستوي فيها رفع اسم (لا) وبناؤه على الفتح"(٥٢)، والمنفي هنا هو الخوف كله ولذلك جاء (خوف) نكرة؛ لأن "النكرة تدل على الشياع والعموم"(٥٣)، إذ السياق يتكلم على نعم الله سبحانه وتعالى على أوليائه وعلى عباده الصالحين، وحين ينفي عنهم الخوف يبدأ بنفي أقل الخوف، فهم لا يخافون خوفاً قليلاً؛ ليكون كثيره منفياً عن طريق الأولى، وهذا السياق لا ينسجم معه استعمال المصدر (خيفة)؛ لأنه يدل على الكثرة ونفي الكثير لا يفهم منه نفي القليل؛ ولذلك نفى التعبير القرآني الخوف عنهم بالجملة الاسمية وهي:﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ لإفادة نفي جنس الخوف نفياً قاراً؛ لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات(٥٤).

وورد المصدر (خيف) في ستة مواضع في القرآن الكريم، هي: قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف:٢٠٥)، وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود:٧٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد:١٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (طه:٦٧-٦٨)،وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم:٢٨)، وقوله تعالى : ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات:٢٧-٢٨)، ففي الموضع الأول استعمل القرآن المصدر (خيف)؛ لوجوب أن يكون ذكر الله في حال الخيف الواقع في النفس، المستقر والممتد فيه على الدوام، ومن أجل ذلك الدوام للذكر والامتداد والاستمرار؛ ولذلك اقترن بالتضرع الذي معناه اللين، إذ قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الضاد والراء والعين أصل صحيح يدل على لين في الشيء، من ذلك ضرع الرجل ضراعة، إذا ذل"(٥٥)؛ ولذلك أعقب هذه الآيةَ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٦)، والمقصود بالذين عند الله هم الملائكة الذين لا يتكبرون عن عبادة الله ولا يغفلون، في إشارة إلى تشبه العباد بالملائكة.

وإذا تأملنا المواضع الستة وجدنا أن (خيف) معمول للفعل (أوجس) في ثلاثة منها، و(وجس): "كلمة تدل على إحساس بشيء وتسمع له، توجس الشيء: أحس به فتسمع له"(٥٦)،وأُعقبت الحالة بالنهي عنها بقوله تعالى: ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ في المواضع الثلاثة، وهذا يعني أن الـ(خيف) قد وقع في هذه السياقات في النفس فأوجس الخائف في نفسه، أي أحس به، وبدلالة مصوت الكسرة الطويلة الدالة على الامتداد بعد صوت الخاء، أي أن (خيف) واقع ممتد وكأنه حالة لزمت صاحبه مدة؛ ولذلك وصف ابن عاشور (خيف) بأنه "من المصادر التي جاءت على صيغة الهيئة وليس المراد بها الهيئة"(٥٧)، واسم الهيئة دال على ملازمة الفاعل لحالة الحدث حين قيام الفاعل به، كما ذكر ذلك ابن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، إذ قال: "فإذا قلت: (الطِّعمة) و(الرِّكبة) و(الجِلسة) ونحوها، فإنما تريد الحالة التي عليها الفاعل، والمراد أنه إذا ركب؛ كان ركوبا حسناً، أي: ذلك عادته في الركوب والجلوس، وكذلك (هو حسن الطِّعمة)، المراد أن ذلك لما كان موجوداً فيه لا يفارقه صار حالة له"(٥٨).

وجمع التعبير القرآني استعمال المصدرين في آيتين متتاليتين من سورة الرعد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٢-١٣)، ففي الأولى استعمل (خوفاً)، وفي الثانية (خيفته)؛ للدلالة على محدودية خوف الإنسان من البرق الذي لا يستغرق إلا وقتاً قصيراً ثم ينتهي، ويزول الخوف منه بانتهائه، ولا يستمر لأنه يعقبه الطمع في فضل ذلك البرق في إنزال الغيث، أما في الثانية فاستعمل (خيفته)؛ للدلالة على امتداد خيفة الملائكة من الله سبحانه وتعالى، وكأن الخيفة حالة لازمة لهم في وقتهم كله، ويوحي ذلك بدوام تسبيح الملائكة، وأينما كانوا؛ لدوام خيفتهم من الله سبحانه وتعالى، وقد أحس بذلك الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) فقال: "وتخصيص لفظ الخيفة تنبيها أن الخوف منهم حالة لازمة لا تفارقهم"(٥٩)، ولعل الجمع بين خوف البرق وخيفة الله تعالى في سياق واحد لما بينهما من وجه شبه نسبي، فكما أن البرق تُخاف صعقتُه ويرجى غيثه لإحياء الأرض الميتة، فإن الله سبحانه وتعالى يُخاف عذابُه وترتجى رحمته.

تبين من خلال الآيات السابقة التي استعملت المصدر (خيف) أن معناه يختلف عن معنى المصدر (خوف) في الاستعمال القرآني؛ لأن معنى الذعر والفزع الواقع في النفس الذي تذكره المعاجم اللغوية لـ(خوف) وجدناه لـ(خيف) في القرآن الكريم، أما معنى توقع وقوع مكروه،الذي ذكره الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) للاستعمال القرآني فوجدناه لـ(خوف) في الاستعمال القرآني من دون الـ(خيف).

الصوم والصيام

وردت كلمة (صيام) ومشتقاتها في أربعة عشر موضعاً في القرآن الكريم، وأغلب هذه المواضع كان للمصادر إذ استعمل (الصيام) في تسعة مواضع و(الصوم) في موضع واحد(٦٠).

والصوم لغةً: "الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان. من ذلك صوم الصائم، هو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه"(٦١).

واستعمله القرآن بمعناه اللغوي، إذ قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): "الصَّوْمُ في الأصل: الإمساك عن الفعل مطعماً كان، أو كلاماً، أو مشياً... والصَّوْمُ في الشّرع: إمساك المكلّف بالنّية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين، والاستمناء والاستقاء".

وإذا قطعنا المصدر (صيام) إلى مقاطعها الصوتية وجدناها تتكون من مقطعين أحدهما قصير، والآخر طويل مغلق بصامت على النحو الآتي: (ص ـِ / ي ـَ ـَ م)، فالمقطع الأول ينتهي بمصوت الكسرة القصيرة الدالة على الامتداد النسبي، ويبدأ المقطع الثاني بصوت الياء شبه الصائت متلواً بمصوت الفتحة الطويلة الدالة على الامتداد في الاتجاهات جميعها كما مر بنا سابقاً ثم يقفل المقطع بصوت الميم، أما المصدر (صوم) فإنه يتكون من مقطع واحد مقفل بصامت على النحو الآتي: (ص ـَ و م) إذ أُلحق صوت الصاد بفتحة قصيرة دالة على امتداد نسبي في الاتجاهات كلها إلا أن صوت الواو شبه الصائت تلاها فحدد من ذلك الامتداد وقيده.

وإذا عدنا إلى سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها المصدران: (صيام) و (صوم) وجدنا أن الصيام هو عبادة

الكف عن المفطرات الكثيرة التي تشمل الأكل والشرب والجماع واللفظ البذيء، ووجدنا الصوم كفا عن الكلام فقط، فسعة الصيام اقتضى الياء شبه الصامت متلواً بالفتحة الطويلة، ومحدودية الصوم اقتضى الواو شبه الصامت، وقد ورد الصيام في تسعة مواضع بمعنى هذه العبادة المعهودة، هي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، و﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧)، و﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة:١٨٧)، و﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة:١٩٦)، و﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة:١٩٦)، و﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٩٢)، و﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (المائدة: ٨٩)، و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (المائدة: ٩٥)، و﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ (المجادلة: ٤)، وورد الصوم في موضع واحد فقط وهو بمعنى الصمت والسكوت، إذ قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: ٢٦)، ومعنى الصمت هنا واضح بدلالة قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، وبدلالة طلب عيسى عليه السلام من أمها مريم عليها السلام أن تأكل وتشرب في الآية نفسها، ولذا قال الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ):"الصوم: ترك الأكل وترك الكلام،وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ (مريم:٢٦)،أي صمتاً وقرئ به " (٦٢).

القول والقيل

وردت كلمة (قول) ومشتقاتها في ثلاثة وعشرين وسبع مئة وألف موضع في القرآن الكريم،واستعمل القرآن المصدرين: (قولاً) و(قيلاً) كليهما، فقد ورد أولهما في اثنين وتسعين موضعاً، وورد الثاني في أربعة مواضع(٦٣).

ومعنى القول في المعاجم العربية هو النطق كما ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ قال: "القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقل كلمه، وهو القول من النطق، يقال: (قال يقول قولاً)، والمقول:اللسان، ورجل قولة وقوال: كثير القول"(٦٤)، وعد المصدر (قول) أصلاً للمصدر (قيل)، إذ قال: "القاف والياء واللام أصلُ كلمه الواو"(٦٥).

والقول في القرآن الكريم يستعمل على أوجه أظهرها أن يكون للمركب من الحروف المبرز بالنطق مفردا كان أو جملة، ويقال للمتصور في النفس قبل الإبراز باللفظ قول فيقال: في نفسي قول لم أظهره، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة:٨)، فجعل ما في اعتقادهم قولاً، ويستعمل في الإلهام نحو قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف:٨٦) فإن ذلك لم يكن بخطاب ورد عليه فيما روى وذكر، بل كان ذلك إلهاما فسماه قولاً(٦٦).

ولم يفرق المفسرون بينهما وعدّوا معنييهما واحداً، فقال الطبري مثلا: " ومعنى القيل والقَول واحد"(٦٧)،إلا أن فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) حاول أن يفرق بين دلالتيهما؛فرأى أن الـ(قيل) يستعمل حين يكون قائله عاماً غير مختص وكأنه يحاول تشبيه المصدر (قيل) بالفعل الماضي المبني للمجهول (قِيلَ)، إذ قال: "إذا تفكرت في استعمال لفظ الـ(قيل) في القرآن ترى ما ذكرنا ملحوظاً مراعى فقال هاهنا: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (الواقعة:٢٦)؛ لعدم اختصاص هذا القول بقائل دون قائل فيسمع هذا القول دائماً من الملائكة والناس كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٣-٢٤)"(٦٨)، ولكن الاستعمال القرآني لا يوافق هذا الرأي ويأباه، إذ ورد الـ(قيل) لقائل معلوم أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء:١٢٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(الزخرف:٨٨)، وهو مضاف إلى الضمير العائد إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

وذكر ابن منظور (ت٧١١هـ) قولاً -بصيغة التضعيف ولم ينسبه إلى أحد- يفرق بين معنيي المصدرين، إذ قال: "وقيل: القَوْل في الخير والشر والقال

والقيل في الشرّ خاصة"(٦٩)، والاستعمال القرآني يفند هذا الرأي أيضاً؛ فقد ورد الـ(قيل) في تحية أهل الجنة التي هي خير محض لا شر فيها في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة:٢٥-٢٦)؛ ولذا قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): " والقيل: القول، وهو اسم مصدر بوزن فعل يجيء في الشر والخير "(٧٠).

وحاول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن يفرق بين معنييهما؛ فعدّ الـ(قيل) على وزن (فعل) بمعنى المفعول، أي يقصد به المقول كالذبح بمعنى المذبوح، إذ قال: "الـ(قيل) مصدر (قال)، والأظهر أنه اسم مراد به المفعول، أي المقول مثل الذبح وأصله: قول، بكسر القاف وسكون الواو، والمعنى: ومقوله"(٧١)، ويبدو أنه قال قوله هذا حينما رأى مقول الـ(قيل) قد ذكر بعده في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزخرف:٨٨)، إذ ذكر المقول: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ﴿ وَقِيلِهِ ﴾ مباشرة ولكن هذا لا يعد فرقاً يختص به أحد المصدرين إذ ذكر القرآن مقول الـ(قول) أيضاً بعد مصدر الـ(قول) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الرعد: ٥)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤)، فتبين من خلال مناقشة الآراء الماضية أن هناك فرقاً آخر بين معنييهما سنحاول استجلاء سره.

وإذا قطعنا المصدر (قيل) وجدناه يتكون من مقطع واحد طويل على الشكل الآتي: (ق ـِ ـِ ل) إذ ابتدأ المقطع بصوت القاف الصامت، وتلاه مصوت الكسرة الطويلة؛ للدلالة على امتداد حدث هذا المصدر وتكراره، ثم أقفل المقطع بصوت اللام الصامت، أما المصدر (قول) فإنه يتكون من مقطع طويل واحد أيضاً على الشكل الآتي (ق ـَ و ل) إلا أن القاف لم تعقبه كسرة طويلة بل أعقبه مصوت الفتحة القصيرة الدالة على امتداد حدث المصدر امتداداً محدوداً في الاتجاهات جميعها، ولكن ذلك الامتداد المحدود قيده صوت الواو شبه الصامت الذي تلا الفتحة القصيرة؛ فحدد امتداده المحدود أكثر؛ ولذلك قال الخليل (ت١٧٠هـ): "والقالةُ: القول الفاشي في الناس... والعرب تقول: كثر فيه القيل والقال، ويقال: اشتقاقهما من كثرة ما يقولون: قالَ وقيلَ"(٧٢)؛ فلم تقل العرب إذاً: كثر فيه القول؛ لأن القول محدود ببنيته الصوتية التي لا تنسجم مع دلالة الكثرة والتكرار والتفشي بين الناس.

وإذا عدنا إلى المصدرين في سياقاتهما لتبين لنا السر الدلالي في اختيار كل واحد منهما، وتبين انسجام دلالة كل مصدر منها مع الدلالة العامة للسياق، بحيث يستحيل وضع أحدهما مكان الآخر؛ فقد اختار الاستعمال القرآني المصدر (قيل) في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:١٢٢)، للدلالة على صدق الله تعالى المطلق في أقواله كلها، فقد كان يكفي أن يقال: ومن أصدق من الله وعدا؛ لأن التذييل جاء تأكيداً لقوله تعالى : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ ولكن القرآن الكريم استعمل الـ(قيل) ليشمل الوعد والوعيد، ويشمل هذا القول وغيره أيضاً، فلا أصدق منه سبحانه وتعالى في أقواله كلها، لا في قول محدد ومعين.

وكذلك استعمل القرآن المصدر (قيل) في نقل قيل النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى : ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٨ - ٨٩)؛ للدلالة على امتداد هذا القيل من النبي (صلى الله عليه وسلم) وتكراره، ولا سيما في العهد المكي، ووقت نزول سورة الزخرف التي وصفت محاربة قريش لدعوة الإسلام محاربة أيّست النبي (صلى الله عليه وسلم) من إسلامهم، إذ قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف:٥-٨)، فإن هذه الآيات تحكي إسراف قريش واستهزاءهم بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأن ذلك يجلب الهلاك لهم، ثم ذكرت السورة حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على إسلامهم، إذ قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (الزخرف: ٤٠ - ٤٢)،ثم أعقبت ذلك بذكر أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالاستمساك بما أوحي إليه، وهذا يصور شعور النبي تجاه قومه، إذ قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف:٤٣)،

ولذلك قال ابن عاشور: "وإضافة القيل إلى ضمير الرسول مشعرة بأنه تكرر منه وعرف به عند ربه، أي عرف بهذا وبما في معناه من نحو ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:٣٠)"(٧٣)، وكأن النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد نفسه وحيداً يائساً من إيمان قومه بالله تعالى، ولعل هذا هو ما يفسر ذكر (يا) النداء في نداء الـ(رب) في هذين الموضعين فقط من القرآن الكريم في حين حذفت أداة النداء في ندائه في المواضع الأخرى البالغة خمسة وستين موضعاً؛ فحذف الأداة يوحي بقرب المنادي من المنادى قرباً أغناه عن ذكر أداة النداء، وذكرها يوحي بعكس ذلك على رأي البلاغيين(٧٤)، ونرى في ذكر الأداة في هذا السياق زيادة خضوع وتذلل؛ إشفاقا على قومه، حيث مصوت الفتحة الطويلة التي تستعمل في الندب والاستغاثة والمتسمة بالوضوح وقوة إسماع عالية.

واستعمل التنزيل المصدر (قيل) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: ٢٥ – ٢٦)، للدلالة على امتداد هذا القيل وتكراره، وتكرار لفظ السلام دليل واضح على ذلك في قوله تعالى: ﴿ سَلَامًا سَلَامًا﴾، فالسابقون من أهل الجنة يُستقبلون بالسلام أينما ذهبوا أو التفتوا من قبل أهل الجنة الكثيرين، كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣ – ٢٤)، أما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (يس:٥٥– ٥٨)، فاستعمل القرآن المصدر (قول)؛ لأن السلام من الرب الرحيم الواحد، ولا يتكرر مثل تكراره هناك؛ ولذلك لم يتكرر لفظ السلام هنا؛ وجاء مرفوعاً على صيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبوت، وجاء هناك منصوباً على صيغة الجملة الاسمية الدالة على الحدوث والتجدد، قال أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ): "والرفع في باب المصادر التي أصلها النيابة عن أفعالها يدل على الثبوت والاستقرار، بخلاف النصب فلا يدل على التجدد والحدوث المستفاد من عامله الذي هو الفعل فإنه موضوع للدلالة عليه بخلاف الجملة الاسمية فإنها موضوعة للدلالة على مجرد الثبوت مجرداً عن قيد التجدد والحدوث فناسب أن يقصد بها الدوام والثبات بقرينة المقام ومعونته"(٧٥)، وقد ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر هذه الآية الكريمة، ويوضح كيفية هذا السلام وعدده، إذ قال: "بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة قال: وذلك قول الله: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (يس:٥٨)، قال فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم"(٧٦).

واستعمل مصدر الـ(قيل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل:٥–٦)، الذي جمع بين استعمال المصدرين﴿قَوْلًا﴾ و﴿قِيلًا﴾ في سياق واحد للدلالة على محدودية القول المُلقى على النبي (صلى الله عليه وسلم) في الأول؛ إذ المقصود به القرآن الكريم، وللدلالة على امتداد قيل القائم في الليل في الثاني؛ لأن المقصود به القرآن الذي يتلوه القائم في الليل،والأذكار التي يقرأها،والأدعية التي يدعو الله بها، أي: أن القيل عام يشمل كل ما يلفظه من قول سواء كان قرآنا أو أذكاراً أو أدعية، ويكون هذا القيل في الليل أقوم من قول النهار وقيله؛ لما يمتاز به الليل من هدوء الأصوات، وصفاء القلب وحضوره.

الهوامش :

(١) العين ٩٤/٧

(٢) لسان العرب ٤٤٥/٤

(٣) العين ٩٦/٧

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ١٥٩/١ الحاشية رقم (٢).

(٥) ينظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٠٧/١

(٦) الكتاب ٤/٧

(٧) العين ٤/٣١٣ وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤/١٣٥٨ والمحكم والمحيط الأعظم ٥/٣٠٥ والقاموس المحيط ١/٨٠٩

(٨) لسان العرب ٢/٥٥٠

(٩) المفردات في غريب القرآن ٦٨٨

(١٠) الكتاب ٤/١٢

(١١) ينظر: معاني الأبنية في العربية ٢٠

(١٢) أدب الكاتب ٤٧٢

(١٣) أدب الكاتب ٣٤٤

(١٤) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ١٦

(١٥) أسباب حدوث الحروف ٨٥.

(١٦) التطور النحوي ٦٢ ؛ وينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ١٣٩.

(١٧) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ١٣٩ ، ١٤٠.

(١٨) ينظر : العين ١/٥٧

(١٩) ينظر : الكتاب ٤/٥٧٣

(٢٠) المحقق، ما استطال: يكثر المؤلف من استعمال (ما) في مثل هذا التعبير،ويمكن تخريجها على الزيادة أو المصدرية

(٢١) سر صناعة الإعراب ١/٢١.

(٢٢) يقصد باللين هنا المط والمد.

(٢٣) الكتاب ٤/٣١٢.

(٢٤) الكتاب ٤/٤٢٤.

(٢٥) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ١٠١ ؛ وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٥٤.

(٢٦) ينظر : الكتاب ٢/٢٣١

(٢٧) سر صناعة الإعراب ١/٣٨

(٢٨) الكتاب ٤/٤٣٨

(٢٩) الكتاب ٤/٣١٨

(٣٠) ينظر في مخارج هذه الأصوات: التجويد المصور ١/٩٦

(٣١) الكتاب ٣/٥٢٧

(٣٢) الخصائص ١/٩٠

(٣٣) نتائج الفكر في النحو ٨٣.

(٣٤) بدائع الفوائد ١٤٣، ١٤٤.

(٣٥) شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف ٣٤

(٣٦) معاني الأبنية في العربية ٢٨

(٣٧) ينظر:عين المضارع بين الصيغة والدلالة،(بحث) مطبوع في كتاب بعنوان: بحوث في اللغة والأدب: ١٩٠.

(٣٨) ينظر: بناء الثلاثي وأحرف المد ، د. إبراهيم السامرائي ٩٨ ، ٩٩ (بحث) ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢٤، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

(٣٩) أدب الكاتب ٣٤٢

(٤٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٠٢ – ٣٠٥

(٤١) مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠

(٤٢) المفردات في غريب القرآن ٣٠٣

(٤٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٢٥٠

(٤٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٥٥

(٤٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ٣٥٦

(٤٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٠٤ ، ٣٠٥

(٤٧) العين ٣١٣/٤ وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٣٥٨/٤ والمحكم والمحيط الأعظم ٣٠٥/٥ والقاموس المحيط ٨٠٩/١

(٤٨) مجاز القرآن ٢٣٩/١

(٤٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٤٩٤

(٥٠) هو الليث بن المظفر صاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي. ينظر: معجم الأدباء ٥/ ٢٢٥٣

(٥١) لسان العرب ٩/ ٩٩

(٥٢) التحرير والتنوير ١١/ ٢١٦

(٥٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين ٣٧٢/٢ وينظر: نتائج الفكر في النحو ٢١٦ (التوكيد)

(٥٤) ينظر: التحرير والتنوير ٥٤٠/١

(٥٥) مقاييس اللغة ٣٩٥/٣

(٥٦) مقاييس اللغة ٦/ ٨٧

(٥٧) التحرير والتنوير ٤١٣/٨

(٥٨) شرح المفصل ٤/ ٧٠

(٥٩) المفردات في غريب القرآن ٣٠٣

(٦٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٥١٢

(٦١) مقاييس اللغة ٣٢٣/٣

(٦٢) العين ١٧١/٧

(٦٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٦٦٢ – ٦٨٤

(٦٤) مقاييس اللغة ٤٢/٥

(٦٥) مقاييس اللغة ٥/ ٤٤

(٦٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٦٨٨

(٦٧) جامع البيان عن تأويل آيالقرآن٥٠٧/٧ ، وينظر: البحر المحيط ٣٧١/٣ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٣٥/٢، المفردات في غريب القرآن ٦٨٨ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٩٥/٤

(٦٨) مفاتيح الغيب ٤٠٣/٢٩

(٦٩) لسان العرب ١١/ ٥٧٣

(٧٠) التحرير والتنوير ٢٠٧/٥

(٧١) مقاييس اللغة ٢٧١/٢٥

(٧٢) العين ٥/ ٢١٢

(٧٣) التحرير والتنوير ٢٧٢/٢٥

(٧٤) ينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ١٥٨

(٧٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ٨١٤

(٧٦) سنن ابن ماجه ، رقم الحديث: ١٨٤ ، باب: فيما أنكرت الجهمية ١/ ٦٥

قائمة المصادر:

١. أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢. أسباب حدوث الحروف ، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن عبد الله بن سينا (٤٢٨ه) ، تحقيق : محمد حسان طحان ويحيى مير علم ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د. ت.

٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)

٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦. بحوث في اللغة والأدب، إشراف: د. سهام الفريح، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الكويت، مكتبة العلا، الكويت، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٧م.

٧. بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ه) ، تحقيق : صالح اللحام وخلدون خالد ، الدار العثمانية ، عمان - الأردن ، ودار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م.

٨. بناء الثلاثي وأحرف المد، د. إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢٤، ١٣٨٨ه – ١٩٦٩م.

٩. التجويد المصور، د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق – سورية، ط٤، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

١٠. التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

١١. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، أخرجه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٣. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ه) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م.

١٤. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٦ه -١٩٨٦م.

١٥. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٣١ هـ) ، اعتنى به : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م.

١٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٧. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧ه) ، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات ، دمشق ، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

١٩. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان
ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٠. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢١. شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت ١٠٩٣هـ)، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت٦٨٦هـ) ،حققهما الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٢٢. شرح مختصر تصريف العزي ، مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٥م.

٢٣. شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٥. العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٦. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

٢٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش،ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣– ١٤١٤ هـ.

٣٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سز[illegible]ين، مكتبة الخانجى القاهرة، ١٣٨١ هـ.

٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٢. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٣٣. المدخل إلى علم أصوات العربية ،د.غانم قدوري الحمد ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد، ١٤٢٣ه–٢٠٠٢م.

٣٤. معاني الأبنية في العربية ، د.فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٤٠١ه – ١٩٨١م.

٣٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (١٣٨٨ه)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢ه -٢٠٠١م.

٣٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠ هـ.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١– ١٤١٢ هـ.

٣٨. مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٩. نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١ه) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م.